عصمة الأنبياء بين العهد القديم والقرآن الكريم "دراسة مقارنة"

د. محمد عبد الحميد الخطيب *

تاريخ وصول البحث: 2/7/2013م تاريخ قبول البحث: 26/12/2013م

ملخص

تنـاولت هـذه الدراسة موضـوع عصـمة الأنبيـاء بين العهد القـديم والقـرآن الكريم، وستقتصر هذه الدراسة على الأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القـديم، ونسب اليهم الوقوع في المعصية، وذكرهم القـرآن الكـريم بنصـوص قد يفهم أو يتوهم منها، وقوعهم في المعصية، وبناء على ذلك فعـدد الأنبيـاء الـذين تنـاولتهم الدراسة أربعة وهم: آدم وموسى وهـــارون وســـليمان عليهم الســـلام، وبينت الدراسة أن العهد القـديم، وردت فيه اسـاءات متكـررة للأنبيـاء، بينما كـرم الله الأنبياء في القرآن الكـريم، وهـذا يـدل على أن هـذه الاسـاءات لم تكن موجـودة أصلا في العهد القـــديم وإنما دست عليـــه، لأن أصل كلام الله واحد ويخـــرج من مشـكاة واحـدة، ولا يمكن أن يحـدث التنـاقض في كلام الله وان اختلفت الكتب، وخلصت الدراسة الى أن جميع الانبياء معصومون من جميع الـذنوب والمعاصـي، وما ورد من اساءات لهم في العهد القديم، فهي من تحريفات الذين دونــوه، وهو ما يسميه العلمـاء بتـوراة الأحبـار وقد جـاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة مبـاحث وخاتمة.

Abstract

This study addresses the issue of infallibility & flawlessness of the prophets in both the Old Testament and the Holy Quran, this study will be only confined to the prophets who were mentioned in the Old Testament as falling into sins, and who were mentioned too in some Qur'anic texts wherein it might be misunderstood that they fell into sin; therefore, this study has examined only four prophets: Adam, Moses, Aeron, and Solomon, peace be upon them. The study showed that the Old Testament, abuses frequently the prophets, while the prophets where honored in the Quran, and this shows that these abuses were not present in the origin of the Old Testament, but the texts where corruptly inserted since the origin of

Allah’s word is one came down from the same divine source; and

* أستاذ مشارك، جامعة آل البيت، كلية الشريعة.

no contradiction can take place in the word of God although books can be different. The study concluded that all the prophets are infallible and immune against all sins and flaws; so the abuses mentioned in the Old Testament are distortions brought about by those who wrote it; and this is what scholars call Rabbis' Turah. The study consisted of an introduction, three sections and a conclusion.

مقدمة:

الحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على سـيد الأولين والآخـرين وعلى أنبيـاء الله أجمعين وعلى آل وصحابة رسول الله، أما بعد:

فلقد اختار الله من الناس أفراداً، وأودع فيهم صفات وخصائص لم يودعها في غيرهم، وذلك حسب المهمة الـتي أوكلت إليهم؛ وهي هداية النـاس إلى الطريق المـؤدي إلى الله ، والأنبياء هم صفوة الله من خلقه؛ أنبلهم أخلاقا، وأحسنهم صـفاتا، مـبرؤون من كل عيب، وهم قـدوة لأقـوامهم، وهم معصـومون من الكبـائر والصـغائر، كما أن الله عصـمهم بما يتعلق بتبليغ الرسائل إلى أقوامهم، لكن الدارس لنصوص العهد القـديم يجد أن فيها تطـاولا على الأنبيـاء، ووصفهم بصفات لا تليق بمكـانتهم ووظيفتهم، بل إنها لا تليق بإنسـان سـوي، فضلا عن كونه نبي مرسل من الله جل وعلا.

وسيسعى هذا البحث لتوضيح الصورة الحقيقية للرسل الذين اختـارهم الله لتبليغ دعوته إلى النـاس، وتبصـيرهم بشـريعة الله ليسـعدوا في الـدنيا والآخـرة من خلال دراسة بعض النصوص المتعلقة ببعض الأنبياء، وعددهم أربعة في العهد القديم والقرآن الكريم، بالإضـافة إلى كتب التفسير، ودراسة هذه النصـوص دراسة تحليلية نقدية مقارنة للوصـول إلى إنصـاف هـؤلاء الأنبيـاء الـذين هم صـفوة الله من خلقـه، وتـبرئتهم من التهم الـتي نسـبت إليهم زورا وبهتانا.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

مشكلة الدراسة:

تباينت الآراء في مسألة عصمة الأنبياء، ولذلك ستجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

1- هل الأنبياء معصومون في العهد القديم والقرآن الكريم؟
2- هل العصمة قبل النبوة وبعدها أم بعدها فقط؟
3- هل العصمة من الصغائر والكبائر أم من الكبائر فقط؟
4- هل العصمة في تبليغ الرسالة فقط أم في الأشياء الدينية والدنيوية؟

أهمية هذه الدراسة:

تكمن أهمية هـذه الدراسة في أنها سـتبرئ الأنبيـاء عليهم السـلام مما نسب إليهم من مخالفات ومعاصٍ نصّ عليها العهد القديم، وبيان موقف القرآن الكريم من عصـمتهم جميعـا.

كما أنها ستوضح للقارئ غير المسلم مكانة أخلاق الأنبياء وسموهم جميعا في الإسلام؛ لكون هذه الدراسة تتعلق بجانب مهم من جوانب الدين ألا وهو العقيدة.

منهجية البحث:

1. المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء نصوص العهد القديم، واستخراج ما فيها من إشارات إلى وقوع بعض الأنبياء (الأنبياء الاربعة الذين ورد ذكرهم في محددات الدراسة) بذنوب تعدّ من الكبائر، واقتصرت الدراسة على الأنبياء الاربعة الذين ورد ذكرهم في العهد القديم وأشار القرآن الكريم الى شبهة معصيتهم.

2. المنهج النقدي: من خلال الدراسة النقدية للنصوص الواردة في العهد القديم وعرضها على نصوص القرآن الكريم وأقوال العلماء المسلمين والمقارنة بينها.

أهداف الدراسة:

1. بيان مفهوم العصمة.
2. ذكر بعض من معاصي الأنبياء التي نسبت إليهم في العهد القديم ، ومدى حقيقة هذه الدعاوي.
3. رد علماء تفسير القرآن الكريم على هذه الشبهات.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات التي تناولت عصمة الأنبياء قديما وحديثا منها.

أولاً: الدراسات القديمة:

1. عصمة الأنبياء- (الغزالي ، 505 ﻫ(.
2. عصمة الأنبياء- لفخر الدين الرازي (606ﻫ(.
3. النبوات - فخر الدين الرازي.
4. الفصل في الملل والأهواء والنحل- ابن حزم الظاهري (456ﻫ(.

ثانياً: الدراسات الحديثة:

1. الرسل والرسالات- عمر الأشقر.
2. النبوة والأنبياء- محمد علي الصابوني.
3. الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم- محمد علي البار.
4. الأنبياء بين العصمة والازدراء - محمد عمارة
5. إيذاء الأنبياء بين القرآن الكريم والعهد القديم - دراسة عقدية مقارنة - للطالب أحمد إبراهيم عليات، رسالة ماجستير، نوقشت بجامعة آل البيت 2010-2011.

أما في الدراسات غير الإسلامية:

1. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس- بروس باتون.
2. الموسوعة الإسلامية- مجموعة من المستشرقين.

وهذه الدراسات على أهميتها إلا أنها كانت تركز على الآيات القرآنية في الرد على هـؤلاء. أما هذه الدراسة فستعقد مقارنة بين نصوص العهد القديم وتفسـير علمـاء أهل الكتـاب لها مع نصوص القرآن الكريم وأقوال علماء التفسير.

محددات الدراسة:

ستقتصر هـذه الدراسة على الأنبيـاء الـذين ورد ذكـرهم في العهد القـديم، ونسب اليهم الوقوع في المعصية، وفي الوقت نفسه ذكرهم القرآن الكريم وأشار إلي ما يـوهم وقـوعهم في المعصية، وبناء على ذلك فعدد الأنبياء الذين تنـاولتهم الدراسـة: أربعة وهم: آدم وموسى وهارون وسليمان عليهم السلام.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث دراسته في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة كما يأتي:

- **المقدمة:** تناولت فيها أهمية هذا البحث ومنهجه وأهدافه والدراسات السابقة.
- **المبحث الأول:** تعريف مصطلحات البحث في اللغة والاصطلاح.
- **المبحث الثاني:** أهمية العصمة للأنبياء وعصـمتهم عن الصـغائر والكبـائر قبل البعثة وبعدها.
- **المبحث الثالث:** نماذج مُختارة من قصص الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام تعكس مفهوم العصمة في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.
- **الخاتمة:** حيث سجلت فيها أهم النتائج.

المبحث الأول
تعريف مصطلحات البحث لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف العصمة لغة واصطلاحا:

العِصْـــــمة في كلام العــــرب: المَنْــــعُ. وعِصْـــــمةُ الله عَبْــــدَه: أن يَعْصِـــــمَه مما يُوبِقُه. عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً: منَعَه ووَقَاه، وفي التنزيل: (لاعاصِمَ اليـومَ مِنْ أَمْـرِ اللـهِ إلا مَنْ رَحِمَ)؛ أي لا مَعْصومَ إلا المَرْحومُ، والعَصْمة الحِفْظُ. يقـال: عَصَـمْتُه فانْعَصَـمَ، واعْتَصَـمْتُ بالله إذا امتنعْتَ بلُطْفِه من المَعْصِية[1].

وقيل: العين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إمساكٍ ومنْع وملازمة، والمعنى في ذلك كلِّه معنىً واحد. من ذلك العِصْمة: أن يعصم اللهُ تعالى عَبْدَه من سوءٍ يقع فيه[2].

وقال الباجوري في تعريف العصمة اصـطلاحا: "العصـمة: حفظ الله تعـالى للمكلف من الـذنب مع اسـتحالة وقوعـه، وبهـذا المعـنى لا يجـوز أن نسـألها، أما إن أريد معناها اللغـوي فجائز"[3]، وقيل: "العصمة هي حفظ أوامر الله تعالى من مخالفتها وحفظ نواهيه من الوقوع

بها"[4]. ويُفهم من هذا أن الأنبياء -عليهم السلام- يستحيل وقوعهم في المعاصي لأن الله قد تكفّل بحفظهم منها.

ثانياً: تعريف النبيّ لغة واصطلاحا:

النَّبَأُ: الخبر، والجمع أَنْبَاءٌ، وإِنَّ لفلان نَبَأً أَي خبراً. وقوله ﷻ: عَمَّ يَتساءَلُون عن النَّبَإِ العظيم. قيل عن القرآن، وقيل عن البَعْث، وقيل عن أَمْرِ النبي ﷺ. وقد أَنْبَأَه إِيّاه وبه، والنَّبَإِ الخَبَر، لأَنه أَنْبَأَ عن اللّه أَي أَخْبَرَ[5]. وقيل: النون والباء والهمزة قياسه الإتيانُ من مكانٍ إلى مكان. يقال للذي يَنْبأ من أرض إلى أرضٍ نابئ. وسيلٌ نابئ: أتَى من بلدٍ إلى بلد، ومن هذا القياس النَّبَأ: الخبر، لأنَّه يأتي من مكانٍ إلى مكان. والمُنبئ: المُخْبِر وأنبأته ونَبّأته[6].

ويعرف النبي اصطلاحا:

"إنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما أوحي إليه، وكذا الرسول، فلا فرق بينهما، بل هما بمعنى واحد"[7].

ثالثاً: تعريف القرآن لغةً واصطلاحا:

هو: "من «ق - ر - أ» على صيغة فعلان بمعنى المقروء أو ما يُقرأ؛ لأنه كتاب أنزل لتقرأه الناس أو من القرء بمعنى الجمع، لأنه يحتوي على آيات وسور قد جمعت ودوّنت بين الدفتين في المصحف الشريف[8].

ويعرف القرآن اصطلاحاً بأنه:

هو: "الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[9].

رابعاً: تعريف العهد القديم لغةً واصطلاحا:

العهد القديم بالإضافة إلى العهد الجديد يسمونه: "الكتاب المقدس" و"الكِتابُ: معروف، والجمع كُتُبٌ وكُتْبٌ. كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً، وكَتَّبَه: خَطَّه[10]، وقيل: "الكاف والتاء والباء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على جمع شيءٍ إلى شيءٍ، من ذلك الكِتَابُ والكتابة. يقال: كتبت الكتابَ أكْتبه كَتْباً[11].

"والتَقْدِيس: التَّطْهِير والتَّبْريك، وتَقَدَّس أَي تطهَّر"[12]، وقيل: "القاف والدال والسين أصلٌ صحيح، وأظنه من الكلام الشرعيِّ الإسلاميّ، وهو يدلُّ على الطهْر. ومن ذلك الأرضُ المقدَّسة هي المطهَّرة"[13].

واصطلاحاً هو: "العهد القديم ويعرف أيضًا بعدة أسماء أخرى أقل شهرة منه، مثل: العهود، يتكون من مجموعة كتب تسمى في العربية أسفارًا، ويعتقد اليهود والمسيحيون أنها كتبت بوحي وإلهام .الكتب الستة والأربعين الأولى مشتركة بين اليهود والمسيحيين، يطلق عليها اليهود اسم التناخ أما المسيحيون فيسمونها العهد القديم، ليضيفوا إليها سبعًا وعشرين كتابًا آخر يسمونها العهد الجديد"[14]. **والعهد القديم** هو التسمية العلمية لأسفار اليهود، وليست التوراة إلا جزءا من العهد القديم ، وقد تطلق " التوراة" على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل ، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى[15].

خامساً: تعريف الكبائر: هي: ما ترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار أو اللعنة أو الغض[16].
سادساً: **تعريف الصغائر**: هي: ما ليس فيها حد في الدنيا، ولا وعيد في الآخرة[17].

المبحث الثاني
أهمية العصمة للأنبياء وعصمتهم من الكبائر والصغائر

المطلب الأول: عصمة الأنبياء عن الكبائر فقط أم عن الصغائر أيضاً:

لمناقشة هذه المسألة فلا بدّ لنا من أن نورد الآراء الآتية في المسألة:

1- قال الإمام الرازي: "اجتمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة، إلا الفُضيلية من الخوارج فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك لأنه يجوز عندهم صدور الذنوب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم، وبهذا الطريق جوزوا صدور الكفر عنهم، وأما الروافض فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية..، وما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام من الله تعالى وأجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالتأويل ولا بالسهو وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع..، وما يتعلق بالفتوى وأجمعوا على أنه لا يجوز تعمد الخطأ فأما على سبيل السهو فقد اختلفوا فيه. والذي نقول: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد أما على سبيل السهو فهو جائز" [18].

2- وقال الإمام ابن تيمية: "القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر "أبو الحسن الآمدي"، أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول..." [19].

3- وقال الإمام القاضي عياض المغربي: "فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش، والكبائر الموبقات. ومستند الجمهور في ذلك الإجماع... وهو مذهب القاضي أبي بكر، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع، وهو قول الكافة، واختاره الأستاذ أبو إسحاق، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة، والتقصير في التبليغ، لأن كل ذلك يقتضي العصمة منه المعجزة، مع الإجماع على ذلك من الكافة، والجمهور قائلون بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله معتصمون باختيارهم، وكسبهم إلا حسينا النجار، فإنه قال: لا قدرة لهم على المعاصي أصلا، وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف، وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري، وغيره من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين" [20].

4- وقال الإمام النووي: "واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم، فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم" [21].

5- وقال الإمام الغزالي: "في عصمة الأنبياء، فنقول: لما ثبت ببرهان العقل صدق الأنبياء، وتصديق الله تعالى إياهم بالمعجزات، فكل ما يناقض مدلول المعجزة فهو محال عليهم بدليل العقل، ويناقض مدلول المعجزة جواز الكفر، والجهل بالله تعالى، وكتمان

رسـالة اللـه، والكـذب، والخطأ، والغلط فيما يبلـغ، والتقصـير في التبليـغ، والجهل بتفاصـيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه. أما ما يرجع إلى مفارقة الذنب فيما يخصه، ولا يتعلق بالرسـالة فلا يـــدل على عصــــمتهم عنـــه، عنـــدنا دليل العقل بل دليل التوقيـــف، والإجمـــاع قد دلّ

على عصـمتهم عن الكبـائر، وعصـمتهم أيضا عما يصـغر أقـدارهم من القـاذورات كالزنـا، والسـرقة، واللـواط، أما الصـغائر فقد أنكرها جماعـة، وقـالوا: الـذنوب كلها كبـائر فـأوجبوا عصمتهم عنها، والصحيح أن من الذنوب صغائر، وهي التي تكفرها الصلوات الخمس واجتنـاب الكبائر، كما ورد في الخبر، وكما قررنا حقيقته في كتاب التوبة من كتاب "إحياء علـوم الـدين المبطلـون مع أنه حفظ عن الخطـأ، والكتابة كي لا يرتـاب المبطلـون، وقد ارتـاب جماعة بسبب النسخ، كما قال تعالى:...". فإن قيـل: لمَ لم تثبت عصـمتهم بـدليل العقـل؟ لأنهم لو لم يعصـموا لنفـرت قلـوب الخلق عنهم. قلنا: لا يجب عنـدنا عصـمتهم من جميع ما ينفر فقد كانت الحرب سجالا بينه، وبين الكفـار، وكـان ذلك ينفر قلـوب قـوم عن الإيمـان، ولم يعصم عنه، وإن ارتاب ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ**﴾، وجماعة بسبب المتشابهات فقالوا: كـان يقـدر على كشف الغطـاء لو كـان نبيا لخلص الخلق من كلمات الجهل، والخلاف كما قـال تعـالى: ﴿**فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـابَهَ مِنْـهُ ابْتِغَـاء الْفِتْنَـةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ**﴾، وهذا لأن نفي المنفرات ليس بشرط دلالة المعجزة. هذا حكم الذنوب، أما النســيان والســهو فلا خلاف في جــوازه عليهم فيما يخصــهم من العبــادات، ولا خلاف في عصمتهم بما يتعلق بتبليغ الشرع، والرسالة فإنهم كلفوا تصديقه جزما، ولا يمكن التصديق مع تجويز الغلط، وقد قال قوم: يجوز عليه الغلط فيما شرعه بالاجتهاد لكن لا يقر عليه، هذا على مذهب من يقـول المصـيب واحد من المجتهـدين، أما من قـال: كل مجتهد مصـيب فلا يتصـور الخطأ عنده في اجتهاد غيره فكيف في اجتهاده" [22].

6- وقـال ابن حـزم: "والسـهو منهم قد ثبت بيقين، وأيضا فـإن نـدب الله تعـالى لنا إلى التأسي بهم لا يمنع من وقـوع السـهو منهم لأن التأسي بالسـهو لا يمكن إلا بسـهو منـا.. إننا مأمورون إذا سهونا أن نفعل كما فعل رسـول الله صـلى الله عليه وآله إذا سـها، وأيضا فـإن الله تعـالى لا يقر الأنبيـاء عليهم السـلام على السـهو بل ينبههم في الـوقت ولو يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا في الدين وهذا تكذيب لله ﷻ إذ يقول تعـالى: ﴿**تِبْيَانـاً لِّكُـلِّ شَيْءٍ**﴾، وإذ يقول: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَقَدْ فَصَّـلَ لَكُم مَّا حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ**﴾ [23].

وبنـاء على ما تقـدّم نجد بـأنّ الأمّة اتفقت على عصـمة الأنبيـاء كافّة في تحمل الرسـالة عصمة تامّة، كما اتفقت الأمّة على عصمة الأنبيـاء من الوقـوع في الكبـائر مثل الكفر والكـذب وعدم تبليغ الرسالة وغيرها من الكبائر، وعلى عصمة الأنبياء من الصغائر نجد بأنّ غالب علمـاء المسلمين قالوا بعصمتهم من الصغائر فإن وقعت منهم فإنّهم لا يقرّون بها، ولا يصرّون على الصغيرة بل يستغفرون ويتوبون مباشرة، وهم بذلك يكونـون كمن لا ذنب لـه، ذلك أن الله لا

يقرهم على خطئهم بل ينزل الوحي هاديا ومرشدا، وان ما وقع منهم لا يقدح في الاقتداء بهم، قال تعالى: ﴿**أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ (الأنعام: 90).

والحكمة من جواز وقوع الخطأ اليسير منهم فذلك من رحمة الله ﷻ بهم، حيث لم يحرمهم من أعظم العبادات وأحبها إلى الله وهي التوبة والإنابة.

المطلب الثاني: عصمة الأنبياء قبل النبوة أم بعدها؟:

لمناقشة هذه المسألة فلا بدّ لنا من أن نورد الآراء الآتية في المسألة:

1- قال الإمام الشوكاني: "ذهب الأكثر من أهل العلم إلى عصمة الأنبياء بعد النبوة من الكبائر، وقد حكى القاضي أبو بكر إجماع المسلمين على ذلك، وكذا حكاه ابن الحاجب وغيره من متأخري الأصوليين، وكذا حكوا الإجماع على عصمتهم بعد النبوة مما يزري بمناصبهم كرذائل الأخلاق، والدناءات، وسائر ما ينفر عنهم، وهي التي يقال لها صغائر الخسة، كسرقة لقمة والتطفيف بحبة.. وهكذا وقع الإجماع على عصمتهم بعد النبوة من تعمد الكذب في الأحكام الشرعية; لدلالة المعجزة على صدقهم، وأما الكذب غلطا فمنعه الجمهور، وجوزه القاضي أبو بكر" [24].

2- وقال الإمام الزركشي: "والكلام قبل النبوة وبعدها أما قبل النبوة، فقال المازري: لا تشترط العصمة، ولكن لم يرد في السمع وقوعها. وقال القاضي عياض: الصواب عصمتهم قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته، والتشكيك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار عن الأنبياء بتبرئتهم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان. ونقل ابن الحاجب عن الأكثرين عدم امتناعها عقلا، وأن الروافض ذهبوا إلى امتناعها، ونقله غيره عن المعتزلة؛ لأن ذلك يوجب هضمه واحتقاره، وهو خلاف الحكمة، والأصح قول الأكثرين، ومنهم القاضي; لأن السمع لا دلالة له على العصمة قبل البعثة، وأما دلالة العقل فمبنية على فاسد أصلهم في التحسين والتقبيح العقلي ووجوب رعاية الأصلح والمصلحة، وأما بعد النبوة والإرسال بالمعجزة، فقد دلت المعجزة دلالة قطعية على صدقه، وهل دلالتها عقلية أو عادية؟ خلاف سبق في أول الكتاب. فكل أمر ينافي دلالتها فهو على الأنبياء محال عقلا. والكلام في العصمة يرجع إلى أمور. أحدها: في الاعتقاد ولا خلاف بين الأمة في وجوب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة، وهو الجهل بالله تعالى والكفر به. وثانيها: أمر التبليغ، وقد اتفقوا على استحالة الكذب والخطأ فيه. وثالثها: في الأحكام والفتوى، والإجماع على عصمتهم فيها ولو في حال الغضب، بل يستدل بشدة غضبه ﷺ على تحريم ذلك الشيء. ورابعها: في أفعالهم وسيرهم، فأما الكبائر فحكى القاضي إجماع المسلمين أيضا على عصمتهم فيها، ويلحق بها ما يزري بمناصبهم كرذائل الأخلاق، والدناءات، وإنما اختلفوا في الطريق، هل هو الشرع أو العقل؟ فقالت المعتزلة وبعض أئمتنا: يستحيل وقوعها منهم عقلا; لأنها منفرة عن الاتباع، ونقله إمام الحرمين في البرهان عن طبقات الخلق. قال: وإليه مصير جماهير أئمتنا. وقال ابن فورك: إن ذلك ممتنع من مقتضى المعجزة. وقال القاضي عياض: إنها ممتنعة سمعا، والإجماع دلَّ عليه. ولو رددنا إلى العقل فليس فيه

ما يحيلها واختاره إمام الحرمين، والغزالي، وابن برهان. وقال ابن القشـيري: إنه المسـتقيم على أصـــــولنا. وقـــــال المقـــــترح: إنه الصـــــواب; لأنه ليس في العقل ما يحيلـــــه، وجعل الهندي الخلاف فيما إذا لم يسـنده إلى المعجـزة في التحـدي، فـإن أسـنده إليها كـان امتناعه عقلا" (25).

3- قال الشنقيطي: "واختلف في وقت العصـمة. فقـالت الرافضــة: من وقت مولـدهم. وقـال كثـير من المعتزلــة: من وقت النبـوة. والمختـار عنـدنا أنه لم يصـدر عنهم ذنب حالة النبوة البتة لا الكبيرة، ولا الصغيرة. لأنهم لو صدر عنهم الـذنب لكـانوا أقل درجة من عصـاة الأمة، لعظيم شرفهم وذلك محـال، ولئلا يكونـوا غـير مقبـولي الشـهادة، ولئلا يجب زجـرهم

---

1 (1) ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، 2003، دار الكتب العلمية، ج10، ص 177-178.

2 (2) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، 1979م، دار الفكر، ج 4، ص331-339.

3 (3) الباجوري، **تحفة المريد علي جوهرة التوحيد**، دار الكتب العلمية، ط2، 2004م، ص 315.

4 (4) الميداني، عبدالرحمن حبنكة، دار القلم، ط2، 1979م، ص336.

5 (5) ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، دار الكتب العلمية، 2003م، ج14، ص169-170.

6 (6) ابن فارس ،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، 1979م، ج 5، ص385-389.

7 (7) **حاشية المرجاني**، ج1، ص 12، والكلنبوي، ج1، ص9.

8 (8) الراغب الاصفهاني، حسن بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ص402.

9 (9) الزرقاني ،محمد عبد العظيم ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، دار احياء الكتب العربية، بدون تاريخ ، ج1، ص12 .

10 (10) ابن منظور، **لسان العرب**، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م، ج13، ص699.

11 (**11**) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، 1979م، ج 5، ص 158.

12 (12) ابن منظور، **لسان العرب**، دار الكتب العلمية، ط1، 2003، ج12، ص168.

13 (13) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر، 1979م، ج1، ص64.

14 (14) موسوعة المعرفة المسيحية، أسفار الشريعة أو التوراة، مجموعة من المؤلفين بموافقة بولس باسيم النائب البابوي في لبنان، دار المشرق، طبعة أولى، بيروت، 1990م، ص. 7

15 (?) شِلبي ، أحمد ، **اليهودية** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط 11، 1997 .

16 (?) الدوري، قحطان، **أصول الدين الاسلامي** وعليان رشدي، دار الفكر، عمان، ط 2، 2002م، ص218.

17 (?) ابن ابي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية**، ص356.

18 (?) الرازي، **عصمة الأنبياء**، ص39–40.

19 (?) ابن تيمية، **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، 25/105-106.

20 (?) المغربي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج2، ص489.

21 (?) النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج3، ص54.

22 (?) الغزالي محمد، **المستصفى**، الفصل الأول، ص275.

23 (?) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ج4، ص23.

24 (?) الشوكاني، **إرشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**، ص135.

25 (?) الزركشي، البحر المحيط، ص13-14.

وإيذاؤهم، ولئلا يقتدى بهم في ذلك. ولئلا يكونوا مستحقين للعقاب، ولئلا يفعلوا ضد ما أمروا به لأنهم مصطفون، ولأن إبليس استثناهم في الإغواء ،وحاصل كلام الأصوليين في هذه المسألة: عصمتهم من الكفر وفي كل ما يتعلق بالتبليغ، ومن الكبائر وصغائر الخسة كسرقة لقمة وتطفيف حبة، وأن أكثر أهل الأصول على جواز وقوع الصغائر غير صغائر الخسة منهم. ولكن جماعة كثيرة من متأخري الأصوليين اختاروا أن ذلك وإن جاز عقلا لم يقع فعلا، وقالوا: إنما جاء في الكتاب والسنة من ذلك أن ما فعلوه بتأويل أو نسيانا أو سهوا، أو نحو ذلك، ثم -عفا الله عنه وغفر له-: والذي يظهر لنا أنه الصواب في هذه المسألة أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم يقع منهم ما يزري بمراتبهم العلية، ومناصبهم السامية. ولا يستوجب خطأ منهم، ولا نقصا فيهم صلوات الله وسلامه عليهم، ولو فرضنا أنه وقع منهم بعض الذنوب لأنهم يتداركون ما وقع منهم بالتوبة، والإخلاص، وصدق الإنابة إلى الله حتى ينالوا بذلك أعلى درجاتهم فتكون بذلك درجاتهم أعلى من درجة من لم يرتكب شيئا من ذلك. ومما يوضح هذا قوله تعالى: ﴿**وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى* ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى**﴾، فانظر أي أثر يبقى للعصيان والغي بعد توبة الله عليه، واجتبائه أي: اصطفائه إياه، وهدايته له، ولا شك أن بعض الزلات ينال صاحبها بالتوبة منها درجة أعلى من درجته قبل ارتكاب تلك الزلة. والعلم عند الله تعالى" [26].

4- وقال الإمام القاضي عياض المغربي: "وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة، فمنعها قوم، وجوزها آخرون. والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، فكيف والمسألة تصورها كالممتنع، فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع" [27].

وقال الإمام النووي: "والأنبياء قبل النبوة معصومون من الكفر، واختلفوا في العصمة من المعاصي، وأما بعد النبوة فمعصومون من الكفر، ومن كل ما يخل بالتبليغ، وما يزري بالمروءة، ومن الكبائر، واختلفوا في الصغائر فجوزها الأكثرون، ومنعها المحققون وقطعوا بالعصمة منها، وتأولوا الظواهر الواردة فيها" [28].

5- قال الإمام الآمدي: "والحق ما ذكره القاضي; لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك، والعقل دلالته مبنية على التحسين والتقبيح العقلي، ووجوب رعاية الحكمة في أفعال الله تعالى، وذلك كله مما أبطلناه في كتبنا الكلامية، وأما بعد النبوة فالاتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد كل ما يخل بصدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى" [29].

26 (?) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج4، ص119–121.
27 (?) المغربي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ج2، ص491.
28 (?) النووي، **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، ج10، ص205
29 (?) الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج1، 170.

وبناء على ما تقدّم نجد بأنّ أكثر أهل العلم ذهبوا إلى عصمة الأنبيـاء قبل النبـوة مما قد يزدريهم في أعين الناس، ويضعهم في مقام الاتهام والشكّ، وخُلق الأنبيـاء قبل النبـوة مـنزه أن يكون مما تنفر منه العقول وتشمئز منه النفوس، بل يظهر لنا بأن الأنبياء كافّة كانـوا في مقامات الصدق والنزاهة بين قومهم قبل اصطفائهم، وأنّهم معروفو النسـب، ومن دليل ذلك قوله تعالى على لسان قوم صالح من سورة هود: **قَالُواْ يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَـذَا أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ** (هود: 62). واتفق جمهور العلماء من المحققين والائمة على عصمة الأنبياء بعد النبوّة عمـدا ومعصومون منها سهوا أو على سبيل الخطأ في التأويل، وهو المختار[30].

المطلب الثالث: الحكمة من عصمة الأنبياء:

يقـول الإمـام الـرازي في مقدمته عن عصـمة الأنبيـاء: "فهم المـيزان الـراجح الـذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق، وبمتابعتهم يتمـيز أهل الهـدى من أهل الضـلال...، وإذا كـان هـذا عمل الأنبيـاء عليهم من الله -أفضل الصـلاة والسـلام - وتلك وظيفتهم فإنه لا يتم الغـرض منها ولا تتحقق على تمـام وجهها إلا إذا كـانوا من الكمـال وعلو المـنزل وسـمو المقـام في نفـوس النـاس بالدرجة الـتي تجعلهم أهلا لأن يقتـدى بهم في أعمالهم وسيرتهم ويلـتزم ما يبلغـون عن الله تعـالى من الشـرائع والآداب والأحكـام. ثم هم فوق هـذه الإمامـة، وأكـثر من هـذه القـدوة الـتي يلـزم لها ذلك الكمـال وعلو المنزلة - أشد الخلق صـلة بالله تعـالى، وأقـربهم إليه- بما نـالوا من شـرف تكليمه لهم وتنزيل وحيه عليهم...، وإنَ مما لا يشك فيه عاقل أن الله العليم الخبير أن يتخذ رسولا رجلا تزدريه الأعين وتحقره القلوب، سلط بوهن أخلاقه، وحقارة نفسه، وصغر همته ألسنة النـاس عليه بـالطعن والإزراء، فكيف يستطيع مثل هذا المهان المرذول أن يكون قدوة في مكـارم الأخلاق وأما ما يهدي الناس إلى صراط ربهم العزيز الحميد؟" [31]. فإن قيل : فما بال زلة الأنبيـاء حكيت في القرآن، بحيث تتلى على مر الزمان، مع أن الله غفار سـتار، وقد أمرنا بالسـتر على مـرتكب الكبيرة ؟ أجيب: بأن تسجيل زلتهم يدل على:

1- صدق الأنبياء، وأن ما يبلغونه يكون بأمر الله تعالى بلا إخفاء شيء منه.
2- أن الانبياء على جلالة قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلى الله تعالى دائما بالاستغفار والتضرع في أدني زلة، فعلى الناس - وهم أدنى مرتبة منهم بكثـير - أن يتضرعوا إلى الباري كل حين.
3- أن الصغائر ليست مما يقدح في الإيمان، فلا تكفر الإنسان [32].

---

30 (?) الايجي، عضد الدين، **المواقف**، ص567.

31 (?) الرازي، **عصمة الأنبياء**، ص22-25.

32 (?) التفتازاني، شرح المقاصد ، ج 5 ، ص10، انظر أيضا، الدوري، قحطان، العقيدة الاسلامية ومذاهبها، دار العلوم للنشر والتوزيع، عمان ،ط1، 2007م، ص351-352

ويتبين لنا أن أعظم حكمة من عصمة الأنبياء أنّهم أمنـاء الـوحيّ، فكيف يتـأتى أن يكـون الأمين خائناً أو كاذباً أو مقترفاً للقبائح، ثم يصدق الناس حوله بـأنّ ما بين يديه وحيّـاً من الله تعالى، وثاني حكمة من عصمة الأنبياء تكمن في أنّهم القدوة والأسوة الحسنة يتبعهم من آمن بهم، فكيف يمكن أن يتبع الناس نبيّاً يقترف فعلاً يخالف ما يأمر به النـاس؟، فكـانت عصـمة الأنبيـاء دليلاً عقليـاً وشـاهداً منطقيّـاً على أنّ من اختـارهم للنبـوّة هو العليم الحكيم إذ يعلمُ حيث يجعل رسالته.

المطلب الرابع: أدلة علماء الإسلام في عصمة الأنبياء:

استدل العلماء على عصمة الانبياء بأدلة كثيرة منها:

1- لـو صـدر منهم الـذنب، لحـرم أتبـاعهم فيما يصـدر عنهم، مع أن إتبـاعهم فـرض وللإجماع ولقولـه تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّـهُ**﴾ (آل عمران: 31).

2- لو أذنبوا لـردت شـهادتهم، آذ لا شـهادة لفاسق بالإجمـاع، ولقوله تعـالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُـوا**﴾ (الحجـرات: 6)، لأن من لا تقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تسمع شهادته في الدين القيم؟

3- إن صدر عنهم ذنب وجب زجـرهم وتعـنيفهم، لعمـوم وجـوب الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، ولا شك أن زجرهم إيذاء لهم، وايذائهم حرام إجماعا لقوله تعالـى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُـؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَأَعَـدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِينـاً**﴾ (الأحزاب: 57).

4- لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَـإِنَّ لَـهُ نَـارَ جَهَنَّمَ خَالِـدِينَ فِيهَا أَبَـداً**﴾ (الجن: 23). وقوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ**﴾ (البقـرة: 44)، لكن ذلك منتف بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفرات.

5- قولـه تعالى في إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**﴾ (الأنبياء: 90)، فيتناول جميع الخـيرات من الأفعـال والـتروك، وقوله تعـالى: ﴿**وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**﴾ (ص: 47)، أى من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فـلا يجـوز صـدور ذنب عنه [33]. وتكمن عصـمة الأنبيـاء على أن الله ينبه نبيه على ما يقع منه من خطأْ.

6- لو جاز لهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه، لزم أن يكون ذلك المحرم أو المكروه طاعة، لأن الله تعـالى أمرنا بطـاعتهم واتبـاعهم في أقـوالهم وأفعـالهم من غير تفصيل. فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به، فهو طاعـة؛ لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء [34].

33 (?) المصدر السابق ص568-569. وانظر: الدوري، قحطان، ورشدي عليان، **أصول الدين الإسلامي** ص222-223.

المطلب الخامس: مفهوم العصمة عند أهل الكتاب:

نجد أهل الكتاب عامة من اليهـود والنصـارى يعتقـدون بجـواز المعصـية على أنبيـاء الله ورسله، في جميع الكبائر والصغائر من الذنوب، باستثناء الكذب في التبليغ فقط [35].

وأدلة أهل الكتاب في جواز الخطأ والخطيئة من الرسل والأنبياء ما يأتي:

1- [لأَنَّهُ لَيْسَ إِنْسَانٌ لاَ يُخْطِئُ] (سفر الملوك: إصحاح 8، عدد 46).

2- [مَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى يَزْكُو، أَوْ مَوْلُودُ الْمَرْأَةِ حَتَّى يَتَبَرَّرَ؟. هُوَذَا قِدِّيسُوهُ لاَ يَأْتَمِنُهُمْ، وَالسَّمَاوَاتُ غَيْرُ طَاهِرَةٍ بِعَيْنَيْهِ، فَبِالْحَرِيِّ مَكْرُوهٌ وَفَاسِدٌ الإِنْسَانُ الشَّارِبُ الإِثْمَ كَالْمَاءِ!] (سفر أيوب: إصحاح 15، عدد 14-16).

3- [فَسَدُوا وَرَجِسُوا بِأَفْعَالِهِمْ، ولَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، اَللهُ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللهِ؟ [3] كُلُّهُمْ قَدِ ارْتَدُّوا مَعًا، فَسَدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحًا، لَيْسَ وَلاَ وَاحِدٌ]. (سفر المزامير، المزمور 14، 1:53، 2:53، 3:53).

ويعتقد اليهــود أن العصــمة تجب للنــبي المرسل فيما أرسل فيه وما عــدا ذلك ففي العصمة شك، أما النبي غير المرسل فلا عصمة له عن الخطأ يقول ابن كمونه "وأما داود وسليمان فلم يكونا من المعصومين عن الخطأ لأنهما لم يكونا من المرسلين، وإنما يجب عصمة النبي المرسل فيما أرسل فيه، وفيما عدا ففي العصمة شك" [36].

وعليه فإن عقيدة أهل الكتاب تحصر عصمة الأنبياء والرسل فيما يصدر عنهم من نبوءات وذاك بفعل الروح القدس وليس من قدرة ذاتية لديهم، فالروح القدس من يعصمهم فلا يخطئون فيما هو موحى إليهم فقط، وفيما عدا ذلك فيخطئون، ويقترفون الكبائر والصغائر من الذنوب [37].

وفي حقيقة الأمر فإنّ المشكلة لا تكمن في انتفاء عصمة الأنبياء والرسل لدى أهل الكتاب فقط، بقدر ما هي إنزال الأنبياء والرسل إلى مرتبة الازدراء والتحقير، من خلال نسب ما لا يليق بإنسان عادي أن يقترفه من الذنوب والمعاصي إلى الأنبياء والرسل من الفواحش والجرائم، وهذا يطعن قبل الطعن في الأنبياء والرسل أنفسهم في الله ، وفي حكمته في الاختيار والاصطفاء لرسالاته.

---

34 (?) المصدر السابق نفسه.

35 (?) انظر: السقار، منقذ، **هل العهد القديم كلام الله**، القاهرة، مكتبة النافذ، ط1، 2006م، ص91-101.

36 (?) ابن كمونه، سعد بن منصور، **تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام**، دار الأنصار، بدون تاريخ، القاهرة، ص، 15-18 بتصرف.

37 (?) نشر بمجلة "**منار الإسلام**" بالعدد الثاني عشر، السنة السادسة، ذو الحجة سنة 1401هـ، تشرين الأول، سنة 1981م، واستكمل نشره بالعدد الأول السنة السابعة محرم سنة 1402، تشرين الثاني، سنة 1981م.

وسيتناول المبحث الآتي إن شاء الله تعالى نماذج مُختارة من قصص الأنبياء التي تناولت معصية اقترفها النبيّ أو الرسول، وهـذا في دراسة مقارنة بين عصـمتهم في القـرآن الكـريم وعصمتهم في العهد القديم.

المبحث الثالث

نماذج مُختارة من قصص الأنبياء بين القرآن الكريم والعهد القديم

نسب اليهــود والنصــارى لأنبيــاء الله أعمــالا لا تليق بالأنبيــاء والرسل ، فضلا عن أنها مذمومة اذا صدرت من بشر ، فكيف اذا صدرت من نبي ، أعمالا تقشعر منها جلـود وتشـمئز منها النفوس، بل لا أبالغ إن قلت أن في سـير الأنبيـاء ما يفـوق فعلة قـوم لـوط، فالأنبيـاء لا حرمة لهم ولا تنزيه عن الفاحشة أو رذيلة ومن ذلك:

المطلب الأول: معصية آدم في العهد القديم وفي ضوء القرآن الكريم:

1- معصية آدم في العهد القديم:

أورد سفر التكوين معصية آدم عليه السلام:

[وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلـهُ آدَمَ وَوَضَـعَهُ فِي جَنَّةِ عَـدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَـا، وَأَوْصَـى الـرَّبُّ الإِلـهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَـا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ. »وَقَالَ الـرَّبُّ الإِلـهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُـونَ آدَمُ وَحْـدَهُ، فَأَصْـنَعَ لَـهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ. »وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. فَـدَعَا آدَمُ بِأَسْـمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلــهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَـامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُـدْعَى امْـرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْـرِءٍ أُخِـذَتْ. »لِـذلِكَ يَتْـرُكُ الرَّجُـلُ أَبَـاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِـدًا. وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَـانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُـهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ] (سفر التكوين، الإصحاح الثاني، إصحاح 2، 15-25).

وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَــرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَـجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَـرُ الشَّـجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَـطِ الْجَنَّةِ فَقَـالَ اللـهُ: لاَ تَـأْكُلاَ مِنْـهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ».فَـرَأَتِ الْمَـرْأَةُ أَنَّ الشَّـجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْـلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَـةٌ لِلْعُيُـونِ، وَأَنَّ الشَّـجَرَةَ شَـهِيَّةٌ لِلنَّظَـرِ. فَأَخَـذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَـانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَـانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.

وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟» فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ». وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ». وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ».

وَدَعَا آدَمُ اسْمَ امْرَأَتِهِ «حَوَّاءَ» لأَنَّهَا أُمُّ كُلِّ حَيٍّ. وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.

وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الأَبَدِ». فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا. فَطَرَدَ الإِنْسَانَ، وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنٍ الْكَرُوبِيمَ، وَلَهِيبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ] (سفر التكوين، 3، 1-24).

2- ما ورد في قصة معصية آدم في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذه الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ (البقرة: 35-36).

قال الله تعالى: ﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾ (الأعراف: 19-20).

قال الله تعالى: ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ* فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ**﴾ (طه: 120-121).

ومن خلال النظر في أحداث القصة في المصدرين، نجد أنّ في العهد القديم:

1. سبب الغواية حيّة.
2. الحيّة أغوت المرأة التي بدورها أقنعت آدم .
3. وبحسب رواية العهد القديم فلا نجد أيّة دلالة على توبة آدم .
4. الله عاقبهما على معصيتهما ليس بإخراجهما من الجنّة فقط بل كان عقاب المرأة أوجاع الولادة واشتياقها للرجل وسيادة الرجل عليها، وكان عقاب آدم التعب وأكل عشب الحقل والأرض تنبت شوكا وحسكا لآدم .
5. كما يبين العهد القديم بأنّ الأرض ملعونة بسبب هذه المعصية.

وهذه الصورة المُفتراة على نبيّ الله تعالى آدم بعدم ذكر توبته كما ورد في القرآن الكريم، وأنّ سبب الغواية الشيطان لكل من آدم وزوجه، وأنّ الله تعالى الغفور الرحيم قد تاب عليهما وسخّر ما في الأرض لهما ولنسليهما تعكس صورة النّبي الجاحد الذي لم يكترث بإعلان توبته والرجوع إلى الله، وأنه ذي شخصية ضعيفة ينجرّ وراء المرأة متناسياً أوامر الله تعالى، كما تصوّر القصة الإله بصورة المنتقم بتحميل نسل آدم وزوجته ذنبهما بل ويلعن الإله الأرض بسببهما، وهذا يتنافى مع مفهوم العدالة الذي يُفترض أن يكون في ذات المعبود.

ما ورد في قصة آدم في القرآن الكريم **وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ** والعصيان من الكبائر، والغواية إتباع الشيطان، واستحقاق الإخراج من الجنة بسبب أزلال الشيطان لهما، يدل على أن الصادر منهما كبيرة، وخالف آدم النهي عن الأكل من الشجرة، وارتكاب المنهي عنه ذنب. أجيب عن هذه الشبهة، بأن ذلك كان قبل البعثة، لأنه لم تكن له في الجنة أمة وكان ذلك عن نسيان، لقوله تعالى: **فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً** (طه: 115). أو كان زلة وسهوا، حيث ظن آدم أن المنهي عنها شجرة بعينها، وقد قرب فردا آخر من جنسها.[38]. وهكذا نجد أن ما نقل عن آدم مما يشعر بمعصيته يفسر بأنه زلة أو نسيان أو من الصغائر أو حدث قبل البعثة، وأن نزول آدم إلى الارض لم يكن عقوبة له ، وانما أهبط للوعد السابق بأن يكون خليفة في الارض، والله أعلم.

المطلب الثاني: موسى ومعصية القتل في العهد القديم وفي ضوء القرآن الكريم:

1-معصية موسى المتمثلة بالقتل في العهد القديم:

[وَلَمَّا كَبِرَ الْوَلَدُ جَاءَتْ بِهِ إِلَى ابْنَةِ فِرْعَوْنَ فَصَارَ لَهَا ابْنًا، وَدَعَتِ اسْمَهُ "مُوسَى" وَقَالَتْ: "إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ" حدثَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لَمَّا كَبِرَ مُوسَى أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى إِخْوَتِهِ لِيَنْظُرَ فِي أَثْقَالِهِمْ، فَرَأَى رَجُلاً مِصْرِيًّا يَضْرِبُ رَجُلاً عِبْرَانِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى هُنَا وَهُنَاكَ وَرَأَى أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ، فَقَتَلَ الْمِصْرِيَّ وَطَمَرَهُ فِي الرَّمْلِ. ثُمَّ خَرَجَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي وَإِذَا رَجُلاَنِ عِبْرَانِيَّانِ يَتَخَاصَمَانِ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: "لِمَاذَا تَضْرِبُ صَاحِبَكَ؟" فَقَالَ: "مَنْ جَعَلَكَ رَئِيسًا وَقَاضِيًا عَلَيْنَا؟

38 (?) الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، **المواقف في علم الكلام**، ص569.

أَمُفْتَكِرٌ أَنْتَ بِقَتْلِي كَمَا قَتَلْتَ الْمِصْرِيَّ؟". فَخَافَ مُوسَى وَقَالَ: "حَقًّا قَدْ عُرِفَ الأَمْـرُ] (سـفر الخروج 2، 10-14).

2- ما ورد في قصة معصـــية موسى من قتله المصـــري في القـــرآن الكريم:

قـال الله تعالى: **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْـتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِـيعَتِهِ عَلَى الَّــذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَـالَ هَـذَا مِنْ عَمَـلِ الشَّـيْطَانِ إِنَّهُ عَـدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * ودخل المدينة * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَـرَ لَـهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْـرِخُهُ قَـالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِـالْأَمْسِ إِن تُرِيـدُ إِلَّا أَن تَكُـونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ** (القصص: 15-19).

فموسى عليه السلام قتل المصري ، والقتل من الكبائر وهو محـرم في شـريعة موسى عليه السلام ، فقد جاء في الوصايا العشر (لا تقتـل) ومحـرم في القـرآن الكـريم كـذلك كما قال تعالى: **مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْـرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَـادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَـلَ النَّاسَ جَمِيعــاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعــاً** (ســورة المائــدة: 32). وقد أجــاب العلماء على هذا بأنه كان قبل النبـوة، أو أنه كـان خطأ لأنه لم يقصد قتلـه، وإنما قصد وكـزه أي دفعه فالوكزة لا تقتل وإنما وافقت أجله [39].

تُظهر القصة في العهد القديم أنّ:

1. موسى تعمّد قتل الرجل وهو مصـريّ، وخطط لـذلك عنـدما التفت ألا أحد هنـاك ودفن الرجل بعد قتله.
2. موسى لم يشعر بالذنب على فعلته ولم يتب.

لكن الحقيقة كما ذكرها القرآن الكريم بأنّ نبي الله موسى لم يقصد قتل الرجل، إنما فقط وكـزه فكـان ذلك سـبب مـوت الرجل أي قتل الخطـأ، أو أن قتله للمصـري كـان قبل النبوة، وأنّ موسى اعترف مباشرة بأنّ هذا عمل من صنع الشيطان وتـاب إلى الله وطلب المغفرة، ليس كما يصوره العهد القديم في شخصية الرجل الذي يبطش بالنّـاس ولا يكـترث بالتوبة إلى الله. وتسجيل زلة الأنبياء دليل على صدقهم لأنهم يبلغون كل ما يوحى إليهم.

المطلب الثالث**:** صناعة هارون لعجل يُعبد من دون الله تعالى في العهد القديم وفي ضوء القرآن الكريم**:**

39 (?) الجمل، سليمان، **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين**، ج3، ص454.

1-معصية هارون في العهد القـديم: ورد في العهد القـديم أن نـبي الله هارون صنع عجلا من ذهب وعبـده مع بـني اسـرائيل، والنصـوص الآتية توضح ذلك:

[وَلَمَّا رَأَى الشَّعْبُ أَنَّ مُوسَى أَبْطَأَ فِي النُّزُولِ مِنَ الْجَبَـلِ، اجْتَمَـعَ الشَّـعْبُ عَلَى هَـارُونَ وَقَالُوا لَهُ: "قُمِ اصْنَعْ لَنَا آلِهَةً تَسِـيرُ أَمَامَنَـا، لأَنَّ هـذَا مُوسَـى الرَّجُـلَ الَّذِي أَصْـعَدَنَا مِن أَرْضِ مِصْرَ، لاَ نَعْلَمُ مَاذَا أَصَابَهُ".قَالَ لَهُمْ هَـارُونُ: "انْزِعُـوا أَقْـرَاطَ الـذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِ نِسَـائِكُمْ وَبَنِيكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَاتُونِي بِهَا". فَنَزَعَ كُـلُّ الشَّـعْبِ أَقْـرَاطَ الـذَّهَبِ الَّتِي فِي آذَانِهِمْ وَأَتَـوْا بِهَا إِلَى هارون فأَخَذَ ذلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ، وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْـبُوكًا. فَقَـالُوا: "هـذِهِ آلِهَتُـكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ". فَلَمَّا نَظَرَ هَـارُونُ بَنَى مَـذْبَحًا أَمَامَـهُ، وَنَـادَى هَـارُونُ وَقَالَ: "غَدًا عِيـدٌ لِلـرَّبِّ".فَبَكَّرُوا فِي الْغَـدِ وَأَصْـعَدُوا مُحْرَقَـاتٍ وَقَـدَّمُوا ذَبَـائِحَ سَـلاَمَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: "اذْهَبِ انْزِلْ. لأَنَّهُ قَدْ فَسَـدَ شَـعْبُكَ الَّذِي أَصْــعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْــرَ. زَاغُــوا سَــرِيعًا عَنِ الطَّرِيــقِ الَّذِي أَوْصَــيْتُهُمْ بِــهِ. صَــنَعُوا لَهُمْ عِجْلاً مَسْــبُوكًا، وَسَــجَدُوا لَــهُ وَذَبَحُــوا لَــهُ وَقَــالُوا: "هــذِهِ آلِهَتُــكَ يَا إِسْــرَائِيلُ الَّتِي أَصْعَدَتْكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ]. (سفر الخروج 32، 1-8). وخطيئة هارون التي يتحـدث عنها سـفر الخروج هي صنعه للعجل الذهبي لكي يعبده بنو إسرائيل في فترة غيـاب النـبي موسى عليه السلام لتلقي الألواح، وجعل يرقص ويغني هو والشـعب عـراة عنـده، فـأين عصـمة الأنبيـاء؟ هارون يخطئ ويقارف الآثام، وليست أخطاء محتملة للعفو أو المغفرة، بل الشرك، وموسى يحابي أخاه ويجامله ويعافيه من المصير الذى حكم به على الشعب! ولمـاذا لم يقتل هـارون وهو جالب للخطية العظيمة التي أوجبت قتل كل الشعب[40].

2- شبهة معصية هارون في القرآن الكريم:

قال الله تعالى: **وَإِذْ وٰعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَـذْتُمُ ٱلْعِجْـلَ مِن بَعْـدِهِ وَأَنْتُمْ ظَٰلِمُونَ** (البقرة: 51).

قــال الله تعــالى: **وَإِذْ قَــالَ مُوسَــىٰ لِقَوْمِــهِ يٰقَــوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَــكُمْ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَـارِئِكُمْ فَـٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَـكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْـرٌ لَّكُمْ عِنْـدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ** (البقرة: 54).

قال الله تعالى: **وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَاتِ ثُمَّ ٱتَّخَـذْتُمُ ٱلْعِجْـلَ مِن بَعْـدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ** (البقرة: 92).

قال الله تعالى: **يَسْأَلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَن تُنَـزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابـاً مِّنَ ٱلسَّـمَآءِ فَقَـدْ سَأَلُواْ مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذٰلِكَ فَقَالُوۤاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْـلَ مِن بَعْـدِ مَا جَـآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذٰلِـكَ وَآتَيْنَا مُوسَـىٰ سُلْطَاناً مُّبِيناً** (سورة النساء: 153).

---

40 (?) حسين، عماد علي عبد السميع ،**الإسلام واليهودية، دراسة مقارنة في سفر اللاويين**، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م، ص 119.

قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ* وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ (الأعراف: 148-149).

قال الله تعالى: ﴿**ومَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي* قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا ولا نَفْعًا* وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * ألاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي * قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**﴾ (طه: 83-97).

ينسب العهد القديم كما ذكرنا سابقا معصية صناعة عجل من ذهب يُعبد من دون الله إلى نبيّ الله هارون ، بل وأنّه صرّح لبني إسرائيل بأنّ هذا العجل هو آلهتهم، وجعل له عيداً وأمرهم بأنّ يقدموا له الذبائح والقرابين، وهذا النصّ الذي جعل من هارون كافراً بالله تعالى وليس بالموحّد، كما أنّه نسب إلى نبيّ من أنبياء الله تعالى عبادة العجل وتضليل الناس، في حين أن النّص القرآني ذكر صراحة بالاسم أنّ "السامريّ" هو من صنع عجلاً من ذهب لبني إسرائيل يُعبد من دون الله ﴿**وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾، وأنّ هارون رفض هذا الفعل من بني إسرائيل ودعاهم إلى ترك ما هم فيه من الشرك والكفر بالله تعالى والعودة إلى ربهم الرحمن، فهارون كان رحمة لبني إسرائيل (سورة مريم، 53)، لكنّ بني إسرائيل رفضوا وأصرّوا على ما هم فيه حتى عودة موسى . وقد أكد القرآن الكريم أن هارون بريء مما فعلوا وأنه أنكر فعلتهم هذه حتى كادوا يقتلونه (**وكادوا يقتلونني). أين هذا مما حكاه القرآن الكريم عن عصمة موسى وهارون عليهما السلام. (سورة مريم 51-53).**

المطلب الرابع: نبي الله سليمان ومعصية الشرك بالله تعالى في العهد القـديم وفي ضـوء القرآن الكريم:

تذكر نصوص العهد القديم أن نبي الله سـليمان ارتد في آخر ايامه وعبد الأصـنام وبـنى لهم المعابد.

1-معصية سليمان المتمثلة بالشرك بالله في العهد القديم:

اورد سفر الملوك الاول قصة شرك النبي سليمان عليه السلام:

[وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ. مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «لاَ تَـدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ». فَالْتَصَقَ سُـلَيْمَانُ بِهـؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. وَكَـانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، فَأَمَـالَتْ نِسَـاؤُهُ قَلْبَـهُ. وَكَـانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَـامِلاً مَـعَ الـرَّبِّ إِلهِـهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيـهِ. فَـذَهَبَ سُـلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْـتُورَثَ إِلهَـةِ الصِّـيدُونِيِّينَ، وَمَلْكُـومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَـدَاوُدَ أَبِيـهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَـكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ]. (سفر الملوك الأول، 11: 1-8).

[فَغَضِـبَ الـرَّبُّ عَلَى سُـلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَـهُ مَـالَ عَنِ الـرَّبِّ إِلـهِ إِسْـرَائِيلَ الَّذِي تَـرَاءَى لَـهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْـرَى، فَلَمْ يَحْفَـظْ مَا أَوْصَـى بِـهِ الـرَّبُّ. فَقَـالَ الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذلِكَ عِنْـدَكَ، وَلَمْ تَحْفَـظْ عَهْـدِي وَفَرَائِضِـيَ الَّتِي أَوْصَـيْتُكَ بِهَـا، فَإِنِّي أُمَزِّقُ الْمَمْلَكَةَ عَنْكَ تَمْزِيقًا وَأُعْطِيهَا لِعَبْدِكَ. إِلاَّ إِنِّي لاَ أَفْعَلُ ذلِـكَ فِي أَيَّامِـكَ، مِنْ أَجْـلِ دَاوُدَ أَبِيكَ، بَلْ مِنْ يَدِ ابْنِكَ أُمَزِّقُهَا. عَلَى أَنِّي لاَ أُمَـزِّقُ مِنْـكَ الْمَمْلَكَـةَ كُلَّهَـا، بَـلْ أُعْطِي سِـبْطًا وَاحِدًا لابْنِكَ، لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا]. (سفر الملوك الأول، 9-13).

2- شبهة معصية سليمان بالشرك بالله في القرآن الكريم:

قـال الله تعـالى: **وَاتَّبَعُـواْ مَا تَتْلُـواْ الشَّيَـــطِينُ عَلَىٰ مُلْـكِ سُلَيْمَـٰـنَ وَمَا كَفَـرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـكِنَّ الشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُـونَ النَّاسَ السِّـحْرَ وَمَآ أُنْـزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُـولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَـةٌ فَلاَ تَكْفُـرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِـهِ مِنْ أَحَـدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَـهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَـقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِـهِ أَنْفُسَـهُمْ لَـوْ كَـانُواْ يَعْلَمُـونَ** (سـورة البقرة: 102).

قال الله تعالى: **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** (سورة ص: 30).

نجد صورة نبيّ الله سليمان في العهد القديم موصوفة بأنّها:

1- شخصية مُغرمة بالنساء الكافرات.

2- شخصية مشركة عبدت عدّة آلهة.
3- بنى معابد لهذه الآلهة، وسمح لزوجاته بتقديم القرابين والذبائح لهذه الآلهة.
4- أنّ سليمان لم يلتفت إلى غضب الرب وتحذيره له مرتين بسبب عبادته لآلهة متعددة.

وهذه الصفات لا يمكن أن تنطبق على نبيّ أو رسول مُرسل من إله حكيم، كيف يُعقل أنّ من يتنزل عليه الوحيّ واصطفاه الله يكون ليس فقط عاصياً، بل مُشركاً بالله تعالى، والقرآن الكريم يثبت لسيدنا سليمان صدق إيمانه ويثني عليه بل وينفي صراحة شبهة كفر سليمان .

يقول الداعية الإسلامي محمد الغزالي على هذه النصوص المسيئة للأنبياء عليهم السلام (إن في تلك النصوص إساءة أيما إساءة إلى أنبياء ورسله لما نسبوه إليهم مما يتورع عنه الحشاشون والرعاع، وبأي وسيلة تكون هذه الإساءة من جانبهم إلى الأنبياء؟ لقد غلفوا هذه الإساءات في ثوب الوحي السماوي المعصوم حتى لا يجرؤ على تكذيبه أحد)[41]. إن الإنسان العادي يرفض هذه التصرفات من إنسان عادي فما بالك برسل الله الذين اختارهم الله لتبليغ رسائله إلى الناس، وطلب منهم الاقتداء بهم. لا شك أن تلك النصوص التي تصم الأنبياء والمرسلين بهذه الصفات الدنيئة لا تتفق مع مقتضيات العقل السليم، والمنطق المستقيم، فيما يجب أن يكون عليه هؤلاء الصفوة من الناس مما يقطع بأن النصوص المذكورة- في العهد القديم -هي من إضافات البشر الذين لم يراعوا لله حقا، ولا لرسله أو أنبيائه حرمة[42].

الخاتمة والنتائج:

لقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

1. إن مفهوم العصمة يتمثل في حفظ الله لأنبيائه ورسله عن الوقوع في الذنب وارتكاب المحرمات.
2. إن بعض نصوص العهد القديم فيها إساءة للأنبياء وتنطوي على أوصاف تقشعر منها الأبدان لا تليق بسفراء الله إلى خلقه.
3. إن النصوص الاسلامية قد أوضحت مسألة عصمة الأنبياء من الوقوع في المحرمات، أما في العهد القديم فلم يوضح هذه المسألة .
4. لا يتضمن مفهوم العصمة وقوع بعض الأنبياء في الصغائر، فهو من باب الزلل والنسيان أو حدث ذلك قبل النبوة، وهذا ينسجم مع طبيعتهم البشرية، ومع ذلك لا يقرون عليها بل ينبههم الله عليها ويبادرون بالتوبة منها.

---

41 (?) الغزالي، محمد، **قذائف الحق**، ص46.
42 (?) الطهطاوي، محمد عزت، **الميزان في مقارنة الأديان**، دار القلم، دمشق، ط1، 1993 م، ص38.

الهوامش: